

## إشكالية التخلف الثقافي في و الاجتماعي عند مالك بن نبي. نموذج " إنسان "

د. سليمان ملوكي جامعة مسيلة

### الملخص:

تتخبط الدول العربية والإسلامية في مشكلات اجتماعية، سياسية، أخلاقية اقتصادية، و ثقافية جد معقدة تدل على أنها مازالت في ركود أو ثبات statu- quo تجعلها لا تنمو ولا تلحق بركب الحضارة أو الدول المتقدمة أو المتحضرة أو الصناعية.

و الرغم من كثرة المخططات والمشاريع الاقتصادية والبرامج السياسية التي وضعت بعد استقلال هذه الدول إلا أنها ما زالت لم تحقق أهداف تلك الاستراتيجيات. هذا إن لم نقل أنها تراجعت عن المكتسبات التي حققتها بفعل إما سقوطها الذاتي أو بفعل الآثار الخارجية المحيطة بها.

يناقش هذا المقال مسألة أو إشكالية التخلف عموما و في الجزائر خصوصا من خلال التأكد من فرضية صحة النموذج التنموي الشامل أو الدائم، ومن فرضية عائق الاستعمار الذي أخرجها من التاريخ و بالتالي عدم قدرتها على صناعة مستقبلها السياسي والاقتصادي. كما يناقش فرضية صحة ودقة التشخيص الإستراتيجي القائم على ضبط المشكلات و القضايا و جمع المعطيات وتحليلها و دراسة البيئة والبدائل والخيارات.

فإشكالية هذا المقال تكمن في السؤال الآتي : إلي أي مدي تقف اشكالية التخلف الثقافي و الاجتماعي عائقا امام بناء الدولة الجزائرية و نهضتها؟

## مقدمة:

برز مصطلح "التخلف" Retardement بعد نهاية الحرب العالمية الثانية بشكل خاص مع حصول عدد كبير من البلدان المستعمرة على الاستقلال وذاع استعماله، فكثرت الكتابات حوله ابتداء من الخمسينيات من القرن الماضي. كما كثرت حوله المقالات والأبحاث ذاهبة في كل الاتجاهات ومنطلقة من محطات مختلفة ومناظير متنوعة لدرجة صار يصعب معها على الباحث تنسيق هذه المعطيات لوضع قضية او مسألة التخلف تعريفا خاصا بها. فهناك إذن خلاف بين حول موضوع التخلف وحول منظوراته وحول تعريفه. ويرجع هذا الخلاف إلى تعدد من تعاطوا بحث هذه المسألة، فبعد أن كانت حكرًا على نفر من علماء الاقتصاد، غدا سبيل من الباحثين من مختلف الاختصاصات، منهم علماء اجتماع، سياسة، قانون تاريخ... وغيرهم لأجل فهمها.(1)

أصبح مصطلح التخلف ونظرية التنمية التي يتضمنها بالضرورة- خاصة بوضعية بلدان العالم الثالث- مشكلة اقتصادية محضة مرتبطة بنظرية الاقتصاد. لقد كانت بلدان العالم الثالث تدمج قبل الخمسينيات في النظرية والممارسة الاقتصادية الشائعتين في البلدان القديمة، حيث كان يعتقد أنه يكفي لتحريكها اللجوء إلى الحركية نفسها التي حركت العالم الصناعي، أي حرية التفاعل الاقتصادي والمبادرة الفردية وتأسيس الأعمال والمشاريع الصناعية والإنتاجية.

أخفق هذه المنطق بشكل واضح في بلدان العالم الثالث حين ظن مسؤولوه أنه يكفي الحصول على رؤوس الأموال الكافية والأطر الفنية الملائمة والإدارة التقنية كي تنطلق على درب التنمية.

فشلت تماما نظرية إدارة الاقتصاد انطلاقا من الأساليب التي نجحت في البلدان النامية أو المتخلفة متخبطة في محيط من الجمود والبؤس عاجزة تماما عن تحريك المجتمع بأكمله.

كان للمالك بن نبي رأيا في إشكالية التخلف حيث جمع مجموعة العوامل المادية والنفسية المتولدة في نطاق البلدان النامية نتيجة لالتقاء بين عاملي القابلية للاستعمار والاستعمار. ونذكر أن التخلف عند مالك بن نبي هو باختصار مجموع "مشكلات الحضارة" في مجتمعات العصر الحديث .

ومن أنماط التخلف نذكر التخلف الاجتماعي وهو الذي يحصل نتيجة تمسك الأفراد وتعلقهم بالأنماط الاجتماعية القديمة والموروثة وعدم رغبتهم في التجديد، أو عدم احتكاكهم بثقافات ومجتمعات أخرى تختلف عنهم، ومن أهم المظاهر الاجتماعية المختلفة للتخلف نذكر مايلي:

أ- تفسير السلوك الإنساني بشكل غير عقلافي.

ب- استخدام أساليب شعبية محلية في علاج الكثير من الأمراض الجسمية وعدم الإيمان بأساليب الطب الحديثة.

ت- عدم احترام الوقت والتوقيت وأثره على الإنتاج الفكري في دفع عملية التقدم للأمام.

ث- عدم التعايش مع التطورات الاجتماعية الحاضرة .

ج- ارتفاع نسبة الأمية في المجتمع.

ح- ارتفاع نسبة الوفيات من الأطفال بسبب الجهل في الرعاية الصحية والتربوية.

استخدمت هذه البلاد لإشباع حاجات المركز الرأسمالي وليس حاجات العالم الثالث. إن فرض الاستعمار التقسيم الدولي للعمل أين تخصص العالم الثالث في إنتاج وتصدير المواد الأولية والمحاصيل الزراعية النقدية كالقطن في مصر و النفط في الجزائر، والبن في البرازيل، وقصب السكر في كوبا، والكافور في غانا، والشاي في الهند... وغيرها من المواد. أما المركز الرأسمالي فيحولها إلى مواد مصنعة ويعيد بيعها في بلدان العالم الثالث بأسعار عالية جدا.

يتناول المفكر الجزائري مالك بن نبي مشكلة "التخلف" في العالم الإسلامي كمشكلة حضارية، فيعتبر تخلف العالم الإسلامي اليوم ظاهرة حتمية بناء على نظريته الشهيرة ب"دورة الحضارة" والتي أساسها أن كل حضارة تمر بثلاث مراحل: مرحلة أولى يسودها الروح أو الفكرة الدينية التي تعتبر السبب الرئيسي لميلاد حضارة و فيها يتميز الإنسان بالفعالية وينتج أكثر مما يستهلك فينشأ التراكم. ثم تأتي مرحلة تخبو فيها الفكرة الدينية شيئا فشيئا خاصة عندما تصل الحضارة إلى نقطة أوجها، وهذه هي المرحلة الثانية التي يسودها الترف والاستهلاك المفرط وضعف الأخلاق. ثم تأتي المرحلة الثالثة وهي مرحلة السقوط أو الانحطاط وانحيار الحضارة بسبب انحسار الفكرة الدينية أو الروحية وسهاها بطور الغريزة. ف"دورة الحضارة" إذن تتم على هذا المنوال إذ تبدأ عندما تدخل التاريخ فكرة دينية معينة أو عندما يدخل التاريخ مبدأ أخلاقيا معيناً. كما أنها تنتهي حينما تفقد الروح نهائياً الهيمية التي كانت لها على الغرائز المكبوتة أو المكبوحه الجماع". (2)

يرى مالك بن نبي أن الحضارة هي نتيجة لتفاعل الإنسان والتراب والوقت. فالإنسان هو الثروة الأولية التي تمتلكها كل المجتمعات دون استثناء، لكن لا يحدث هذا التفاعل إلا بالفكرة الدينية. وقد

أعطى بن نبي للفكرة الدينية دورا أساسيا في بناء الحضارة بناء على ملاحظاته ودراساته المعمقة لنشوء الحضارتين الإسلامية والغربية بالإضافة إلى ما أورده الكثير من الدارسين للحضارات كالألماني أوسفالد شبنغلر و أرنولد توينبي . (3)

يقسم بن نبي المجتمعات إلى ثلاثة أنواع وهي: مجتمع ما قبل الحضارة مثل المجتمع العربي في الجاهلية ومجتمع الحضارة مثل المجتمع الإسلامي أثناء ازدهاره والعالم الغربي اليوم، ثم مجتمع ما بعد الحضارة مثل العالم الإسلامي اليوم الذي علقت الشوائب والخرافات والشعوذة والسلبية والجمود والحمول وعدم الفعالية. إنه لا يمكن للمسلم المعاصر الدخول في الحضارة من جديد إلا بالقضاء على مظاهر الانحطاط وبناء إنسان "جديد" بديلا لإنسان ما بعد الحضارة استنادا إلى الفكرة الدينية أو الأخلاقية .

وبكلمة واحدة ينبغي العودة ببساطة إلى روح الإسلام نفسها، فيجب على المسلم المعاصر تدمير كل ما علق به من أفكار ومظاهر سلبية مثلما دمر القرآن الكريم كل ما هو سلبي في المجتمع الجاهلي. ويستند بن نبي في طرحه إلى المبدأ القرآني أو الآية الكريمة " إن الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم" (4)

إن أكبر ظاهرة تهدد المسلم ما بعد الحضارة اليوم هي "الشيئية" فمثلما كان العربي ما قبل الحضارة أي في الجاهلية مغرما بعبادة الأوثان مثل الطفل الصغير المنهر بالأشياء واللعب، فإن المسلم ما بعد الحضارة أي المعاصر مغرم ومنهبر بالأشياء ومنتجات الغرب "الأشياء هنا تستعيد سلطتها على العقول والوعي إذ غالبا ما تكون تافهة براقعة، وهذه إشارة من بن نبي إلى خطورة انتشار النمط الاستهلاكي البحث لسلم الغرب وأشياءه دون أن يحاول المسلم المعاصر فهم آليات صنعها.(5)

وهذا ما جعل بن نبي يدعو المسلم المعاصر إلى الاعتماد على نفسه بدل لجوئه إلى استيراد منتجات الغرب. فالحضارة بناء وليست تكديسا، لأن المقياس العام في عملية الحضارة هي التي تلد منتجاتها. ولكي نبني الحضارة لا يكفي لنا فقط حل مشكلات الإنسان والتراب (الأرض والمواد الأولية) والوقت، بل علينا بناء مجتمعا مسلما جديدا ذا شبكة علاقات اجتماعية متماسكة وذلك بالاستناد إلى الدين الإسلامي، لأن العلاقة الروحية بين الله وبين الإنسان هي التي تلد العلاقة الاجتماعية. وهذه بدورها تربط ما بين أفراد المجتمع، فيندفع هذا الخير إلى البناء الحضاري بالجد والتضحية والفعالية، فكلما كانت شبكة العلاقات أوثق كان العمل فعالا ومؤثرا .

ويحذر مالك بن نبي من فساد وتفكك شبكة العلاقات الاجتماعية بتضخيم خاصية الأنا أو الأنانية، لأن ذلك ينتهي إلى تحلل الجسد الاجتماعي لصالح الفردية... فالعلاقات الاجتماعية تكون

فاسدة عندما تصاب الذوات بالتضخم، فيصبح العمل الجماعي المشترك صعباً أو مستحيلًا أليس هذا ما تعانيه المجتمعات الإسلامية اليوم نتيجة تغلغل القيم والأخلاق الرأسمالية فيها من جراء التوسع الرأسمالي؟

يبدو لنا أن مالك بن نبي لم يشر مباشرة إلى خطر التوسع الرأسمالي على العالم الإسلامي، وإلى الارتباط الوثيق للعالم الإسلامي بالرأسمالية العالمية شأنه في ذلك شأن كل بلدان العالم الثالث. ولو أن بن نبي كان يفكر في تكتل العالم الثالث للخروج من التخلف عاقداً الأمل على المؤتمر الأفروآسيوي بباندونغ في 1955 أين دعا إلى نظام عالمي جديد قبل جورج بوش في 1990 وهوارى بومدين في 1974. عالم يسوده التعاون بين الشمال المتقدم والجنوب المتخلف. فالأخير يعطيه الأخلاق والسلام والآخر يعطيه التكنولوجيا والعلوم، أي تكتل القوة الروحية والمادية فتصنعا معا معجزة هذا العصر حين يتم لها التفتح والازدهار. لقد غرست الفكرة الأفروآسيوية التي ربما غيرت وجه الإنسان الذي يعيش بين **طنجة وجاكرتا** نواة لفساد جديدة للسلام مغيرة مفهومه تبعاً لتوجيه عدم العنف الذي يملئ على المرء أن يكون صديقاً لجميع الناس وجميع المبادئ الإنسانية.<sup>(6)</sup>

وإذا كان مالك بن نبي يعتبر تخلف العالم الإسلامي ظاهرة حتمية بفعل اغفال عامل الاجتهاد و غياب عملية البناء الحضاري، فإن هذا ليس معناه استحالة القيام بعملية البناء الحضاري من جديد. وذلك من خلال العودة إلى الفكرة الدينية التي كانت وراء ميلاد الحضارة الإسلامية وبناء الإنسان الفعال: "إن المجتمع الإسلامي مدعو لأن يستعيد تقاليده العليا ومعها حس الفعالية. ومن أجل أن يثبت العالم الإسلامي بمنطق العصر بأن أفكاره صحيحة توجد غير طريقة واحدة هي إثبات قدرته على تأمين الخبز اليومي لكل فرد ... فنحن لا نستطيع أن نصنع التاريخ بتقليد خطأ الآخرين في سائر الدروب التي طرقتها؟ بل أن نفتح دروبا جديدة، ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا بأفكار أصلية تستجيب لسائر المشكلات على الصعيد الأخلاقي، أو على صعيد الأفكار الفعالة لتجابه مشكلات التطور في مجتمع يعيد بناء نفسه"<sup>(7)</sup>

يرى مالك بن نبي أن مشكلة كل شعب أو أمة هي في جوهرها مشكلة حضارته، فلا يمكن لشعب أن يفهم أو يحل مشكلته ما لم يرتفع بفكرته إلى الأحداث الإنسانية، ومالم يتعمق في فهم العوامل التي تبني الحضارات أو تهدمها... وما الحضارات المعاصرة، والحضارات الضاربة في ظلام الماضي والحضارات المستقبلية إلا عناصر للملحمة الإنسانية منذ فجر القرون إلى نهاية الزمن، فهي حلقات لسلسلة واحدة تؤلف الملحمة البشرية منذ أن هبط آدم على الأرض.<sup>(8)</sup>

إن كل شعوب العالم الثالث وخاصة الشعوب الإسلامية لا تحتاج إلى تعريف التخلف لأنها تعيشه وتحسه في الحياة اليومية في كل الميادين ولذلك فهي كلها تتطلع إلى حياة أفضل. والتطلع إلى حياة أفضل هو فوق كل هذا عند المسلمين إرادة وعمل للخروج من الظلمات إلى النور وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتغييره: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان" (9) إن هذا المبدأ السني كليل بإخراج البلدان الإسلامية خاصة وبلدان العالم الثالث عامة من أمراض وآفات اجتماعية من جوع وانتشار للأمية وومن عنصرية وطائفية واستغلال الإنسان لأخيه الإنسان .

إن التخلف إذا تمثل في إشباع الحاجات الاقتصادية دون القدرة على تحقيق الإنتاج حقيقة فإن آثاره تكون وخيمة على المجتمعات المتخلفة وخاصة الإسلامية منها. وهذا ما أكده المرحوم مالك بن نبي الذي قال في كتابه "المسلم في عالم الاقتصاد: "يبدو أن العالم الإسلامي في هذه الآونة مصاب بداء "الإقتصادانية"، لأنه انتقل من عدم الوعي الاقتصادي الشامل إلى الحصر الاقتصادي كأنما ليس للمسلم إلا سبيلا واحدا وهو الاستهلاك فقط. فتوعية الإنسان "المسلم" في الميدان الاقتصادي يجب أن لا تجر إلى وثنية جديدة بحيث يصير من عباد صنم جديد اسمه الإقتصادانية" (10)

إن القضاء على التخلف في أوطاننا الإسلامية لا يمكن أن يتحقق بتقليد النظام الرأسمالي، أو النظام الشيوعي تقليدا أعمى بدون الرجوع إلى أصلتنا الإسلامية. إن ذلك كان أرنو لد تونبي يشك في نجاح الثورة الكمالية في تركيا لأنها كانت تقلد الغرب في محاولتها الخروج من التخلف بتركيزها على القومية التركية بدلا من الإيديولوجية الإسلامية. فالحركة الإسلامية هي في سبات، وبالرغم من ذلك يجب الأخذ بعين الاعتبار احتمال البيقظة كما ثارت البروليتارية المتغربة ضد السيطرة الغربية ونادت بأصوات عالية مناهضة الغرب. فهذا النداء قادر على إيجاد نتائج نفسية ليس لها حصر على الفكرة الجهادية في الإسلام وذلك بإيقاظ أصداء العصور البطولية.

ومهما يكن الأمر فإن محاولات كل أنظمة البلدان الإسلامية المعاصرة من الخروج من التخلف يجب أن تأخذ بسياسة إصلاحية تحقق ثورة اجتماعية وثقافية وسياسية شاملة. إنه من المؤسف كما أشار إليه المرحوم مالك بن نبي أن كل الإصلاحات في البلدان الإسلامية تكاد تقتصر على الميدان الاقتصادي تقليدا للأظمة الرأسمالية أو الشيوعية وفي كلا الاتجاهين نراها في العالم الإسلامي مجسدة في محاولة تركيب روح إسلامية على جسم أجنبي يرفضها وترفضه.

يمكن القول أن التخلف ظاهرة لا تتجزأ، فهو تخلف في كل الميادين: العقائدي، الاجتماعي الثقافي والاقتصادي ولماومهته يجب رسم إستراتيجية محكمة متكاملة. وبدون هذا سوف تذهب كل

المجهودات هباء منثورا. ويجب أن تصير إستراتيجيتنا لمقاومة التخلف في إيدولوجية مستوحاة من أصالتنا الإسلامية، وهذا هو الشرط الوحيد لضمان نجاحها. ولكن يجب علينا أن نتفق هنا على الإسلام الذي نطالب به وننشده، إنه إسلام القرآن والسنة، إسلام الخلفاء الراشدين إسلام العدالة الاجتماعية الحقّة.

إن ما أصاب العالم الإسلامي من انخراط لا يمكن تفسيره بالأسباب الأخلاقية البحتة بل هناك عوامل أخرى ذات طابع مادي، اقتصادي واجتماعي كالغزو الأجنبي والفتن الداخلية وتصاعد الاستبداد وانتشار الاضطهاد الإقطاعي واضمحلال بعض الأنظمة الاقتصادية العالمية. وقد كان لهذه العوامل كلها دور حاسم فيما آل إليه المسلمون لذلك فإن ظهور الخرافات والشعوذة وانتشار العقليات التي تعيش على الماضي ليست من أسباب تلك الوضعية وإنما هي من نتائجها. وهكذا يتجلى أن التركيز على محاربة هذه الانحرافات دون العناية البالغة بالبيئة الاجتماعية هو بمثابة الوقوع في عملية وعظية لاجدوى منها.

والواقع أن العالم الإسلامي لا بد له إذا ما أراد أن ينبعث من جديد أن يختار مرحلة الإصلاح ليخوض غمار الثورة الاجتماعية. إن الثورة لا تندرج تماما في المنظور التاريخي للإسلام لأنه في مفهومه الصحيح لا يرتبط بنوع من المصالح الخاصة ولا يخضع لأي كهنوت أو أية سلطة زمنية ولهذا فلا يحق للإقطاعية ولا للرأسمالية أن تتخذ الاتئام إليه ذريعة لخدمة مصالحها وقضاء مآربها . (11)

إنه يتحتم إذن على كل الشعوب الإسلامية التي أصبح مصيرها مرتبطا بمصير العالم المتقدم أن تكون واعية بالمكاسب الإيجابية لتراثها الثقافي والروحي، وأن تستوعبه من جديد على ضوء القيم والتحويلات الجارية في الحياة المعاصرة. ومعنى هذا أن أية محاولة جادة تهدف اليوم إلى إعادة بناء الفكر الإسلامي يجب أن تمتد حتما إلى تحرير المجتمع تحريرا كاملا. (12)

وإذا كانت القابلية للاستعمار السمة البارزة في نفسية إنسان "العالم الثالث" على العموم، فهذا يعني ارتباطها بالنفس من منطلقات اللاشعور الجمعي الذي نلاحظ ملامحه في النكوص الحضاري، أو نزعة التبرير. فإنسان ما بعد الموحدين تكونت في أناه جملة من العقد جعلت المجتمع الإسلامي مجتمعا مفككا عاجزا عن القيام بأي عمل خلاق يمليه منطق التحدي والاستجابة ( Défi- riposte).

وهكذا فإن النفس تصاب بجملة من الأمراض والأعراض يمكن للدارس أن يستقرأها من خلال عمل فكري جاد للعالم الفرنسي غوستاف لوبون Gustave Le bon حين حلل نفسية

الحشود في كتابه "روح الاجتماع". ويظهر أن مالك بن نبي أدرك هو الآخر أن الأفعال الحضارية لا ينتج سوى حشود بشرية تشبه قطعان الغنم، فبرغم كمها العددي فهي لا تقدر أن تصنع لنفسها عالم أشياء أو أفكار لأن العطالة مست جميع نواحي حياتها. كما يتزامن مع العطالة عرض نفسي أخطر من الداء نفسه يتمثل في أضرار العطالة التي نلاحظ وجودها في أبسط أعمالنا اليومية. ويمكن حصر السمات النفسية التي تعكس الأمراض شبه الصبانية على النحو التالي:

1- نزعة التسامي أو التعالي أو مركب النقص تجاه الحضارة الأوروبية-أمريكية وثقافتها المادية التي جعلت الذات العربية المعاصرة تسلك مسلكا سحريا تمثل في النكوص إلى الوراء عن طريق إمتداح الماضي وذكر مناقب السلف والخطاب الرومانسي الحالم، فبدل أن يثمر العمل في الذات رغبة قوية في التقدم نحو النموذج الغالب خلق مرضا نفسيا تمثل في ذهان التعالي الذي يعكس أزمة تراجيدية تجلت في سلوك اضطرابي مفعم بالهيجان العاطفي المدمر من أبرز نتائجه تعدد النكسات والهزائم المتكررة . نفسية الشعور ب "العملقة" مجرد حلم يقظة يخفي حقيقة الأنا القزمية معنويا. فكل ذات عندما تفقد عناصر التحدي وآليات التكيف يظهر عليها ذهان الاضطراب السلوكي الذي يمكن أن نصلح عليه ب "الهستيريا الحضارية" التي تنتاب الذات العربية منذ الأفلو فتلجأ إلى أسلوب حيوان النعام أي دفن الرأس في الرمال، وما الرمال بالنسبة لإنسان ما بعد الموحدين سوى ذلك العالم السحري المليء بالفخر والزهو وخطاب (كنا) أو نحن أولى من عرف الزمان... الخ. (13)

يرى المستشرق هاملتون جب Hamilton Gib أن عقدة التسامي هي إحدى العوائق التي تجعل العقل الإسلامي عاجزا عن فهم مشكلاته الحقيقية. ونفس الرأي تقريبا ذهب إليه الدكتور عبد اللطيف عبادة حيث قال: "إن استخدام نزعة المديح وأدب الفخر والتمجيد كوسيلة للتغلب على مركب النقص الذي اعترانا إزاء سلطان الثقافة الغربية واضح أنها وسيلة للتخدير والتسليية التي تعزل الفكر والضمير عن الشعور بالمتاعب الحقيقية. والثقافة عند أي شعب ما إذا اتجهت إلى الماضي مدحا وتمجيذا فقط فإنها تعلن موت أهلها وفقدان أدنى حضور في مجرى أحداث عالم الكبار." (14)

ويحدد مالك بن نبي ثقافة العالم الإسلامي قائلا: "نحن اتجهت الثقافة إلى مدح الماضي أصبحت ثقافة أثرية لا يتجه العمل الفكري فيها إلى الأمام بل ينكص إلى الوراء وكان هذا الاتجاه الناقص المسرف سببا في انطباع التعليم كله بطابع دارس لا يتفق ومقتضيات الحاضر والمستقبل وبذلك أصيبت الأفكار بظاهرة التباهي بالماضي كأنها قد أصبحت متنفسا له." (15)

2- داء التكديس: ويعتري الفرد المسلم العاجز إذ يعتقد أن المخرج من الأزمة الممتدة في ضميره تكمن في نقص الأشياء لذا لجأ إلى تكديس الأشياء. والتكديس ظاهرة عامة في العالم الإسلامي فكم من



ورشة ومؤسسة تعمل على جلب الوسائل الحديثة، لكن بدل استغلالها واستثمارها في مشاريع تنموية تقع في مستودعات ومخازن تفقد قيمتها يوماً بعد يوم.

لقد حذر فرانسيس بيكون Francis Bacon المجتمع من داء التجميع والتكديس واعتبره أحد أوهام العقل وأبرز سمة مرضية في نفسية إنسان العصور الوسطى. ولقد شبه بيكون العملية التكديسية بالتجميع الخلمي، ذلك أن العمل يعمل على تكديس المواد دون بنائها في حين أن النحل يبني ثم يكس. فالتكديس كسلوك مرضي لا يحل المشكل بقدر ما يزيد في عمق التخلف وتدهور قيمة الإنسان مهما كانت منزلته الاجتماعية.

إن أخطر مظاهر التكديس على الإطلاق ما تعلق بالأفكار. فالثقافة الإسلامية المعاصرة تزخر بكم هائل لا طائل منه من المعلومات والمعارف ولم تفد المسلم في حياته ولا معاركه ولا تحدياته مما أدى به إلى هزيمته وتخلفه. إن من يكس أطنان الحديد والإسمنت والحجارة لا يبني أبداً بيتاً لأن ما يكس يدخل في نطاق الضائع.

3- داء الرفض: ومن علاماته في أي شعب ما وجود التطهير الذاتي كبداً روحي وعملي معاً لأنه يعكس سلامة الأنا من داء نفسي خطير يتجلى في مرض الرفض (لا). إن إنسان ما بعد الموحدين نتيجة الترجسية وعقدة التسامي اتخذ الرفض أسلوباً وفلسفة سحرية والغرض من ذلك الهروب من التطهير الذاتي الذي يحصل وفق منهج الاستبطان الجمعي لأن الذات المهزومة تخشى أن ترى نفسها في المرأة. إن إثبات وجود الأنا يبقى في نفسية العربي والمسلم لا يستند إلى المعقول أو المنطق بل إلى اللامعقول، فتتحكم فيه الأهواء والأوهام.

ويرى بن نبي أن الرفض ينميه موجهو الصراع الفكري من أجل تعطيل العقل النقدي. فالرفض لم يخدم إنسان "ما بعد الموحدين" إلا نادراً لكنه خدم الفكر الموازي (الاستعمار)، إنه يتجلى في عالم السياسة. فالزعيم السياسي يعتقد الرفض ميزة والنقد ضعفاً، كما نلاحظه في شخص الفقيه عندما لا يتعرف بالخطأ في الفتاوى حتى وإن برهنوا له على فسادها من صحيح الكتاب والسنة.

يعتبر مالك بن نبي عقدة الرفض عائقاً لمصالح الأمة. وفي هذا السياق يقول: "يجب أن أضيف بأنها لم تكن المرة الأولى التي يعترضني في الطريق هذا العائق المشل (الرفض) والذي يبدو لي الآن بعدما مر بعض الزمن أنه لم يعق مصالح الاستعمار وإنما أعاق القضية الوطنية. إن عقدة الرفض تفسر فشل المشاريع التنموية والإصلاحية لأن الوثن البشري يرفض الفكرة الجديدة" (16).

إن الشيء له حضور قوي وسحر في الذات لتعلقه بالذات والشهوات وسد الحاجات الملحة كما يعد عند الشعوب ذات البعد الواحد معيار القوة والحضارة والسلوك الاجتماعي عندما يطغى عليه الشيء. فترى جميع الممارسات ترتكز عليه كطلب وقاعدة وغاية. فالشيء بكل ما يحمله من أبعاد يعود سلبا أحيانا على الإنسان وخاصة إذا أصبح محور تفاعلات الذات والإنسان غارقا في عالم الأشياء فتحول سلوكه إلى محتوى مادي لا يخرج نمودجه عن نطاق الشيء وخاصة في ميدان التخطيط أو عندما يواجه بلد ما مشكلة التخلف.

وعندما يفقد الإنسان السيطرة على الشيء يتحول فكره وسلوكه إلى النزعة التشتيتية فيصبح الكم اللغة السائدة والمعيار الناقد. فجمال الدين الأفغاني دارت تصوراته حول النزعة الشيئية حينما انزل فكره في عالم الأشياء وأعتقد أن حل المشكلات الحضارية يكمن في الشيء. فالهند تمتلك زخما بشريا يفوق سكان بريطانيا أضعافا مضاعفة ورغم ذلك فالثلة البريطانية استعمرت الهند طويلا إن الشيخ كان واهما حينما اعتقد أن الحل يكمن في كم من الأشياء ينتجه السلوك الاجتماعي الهندي أو حركة ما كما لمح للهنود أنهم لو بصقوا على الجزر البريطانية لأغرقتها في بحر من اللعاب. (17)

لم يسلم التعليم من الشيئية فلقد اعتقدت المدارس الإصلاحية أن ما يصلح التعليم هو إدخال المنضدة والكرسي و استعمال السبورة لكن العقل العربي لم يفكر في توفير الجو المعرفي قبل توفير الشيء، كما أن العلاقات الاجتماعية نفسها لم تخرج عن إطار التقييم الشئئي.

4- النزعة الرومانسية الحاملة أو تلك الأمراض الطفيلية على حد تعبير بن نبي تنتج مرضا معنويا يتجسد في الرومانسية الحاملة التي تخضع إلى الخيال الجانح والأوهام والبلاغة المبتدعة، فتغدو الثقافة حرفة أبرز سمة لها على وجه الخصوص حضور فكرة (نحن كاملون) فلا نقص يعترها ولا تحول يدركنا وتصبح الرومانسية الحاملة بالكمال الوهمي بلاء على الذات، و في ذلك يقول مالك بن نبي: "ومصدر هذا البلاء معروف فمن المسلم به الذي لا يتنازع فيه اثنان أن الإسلام دين كامل بيد أن هذه القضية قد أدت في ضمير ما بعد الموحدية إلى قضية أخرى هي نحن مسلمون إذن نحن كاملون". (18)

## 2/ السمات المرضية لإنسان ما بعد الموحدين.

لقد قدس الإنسان منذ القديم العقل واعتبره معيار التفكير والتميز الإنساني. كما اتخذ عند اليونان مفهوم (اللوعس) وعند الفرس (النومس) وعند الفراعنة (ماعت). وعند العرب معناه مشتق من فعل ثلاثي عَقَلَ بمعنى ربط أو أوثق. والقصد من ذلك ملكة ربط الأشياء وإحكام بعضها ببعض حتى

تعطي معنى واضحاً مدركاً غير أن العقل الإنساني يسير جنباً إلى جنب مع التاريخ وبالتالي يعتره التحول والتبدل ويدخل في نطاق الأمراض شبه الصيبانية حيث تتجلى سماته المرضية فيما يلي:

1- النزعة الذرية (ATOMISME)، فعندما نستعمل منهج الحفر الأركيولوجي في دراسة العقل البشري ، فإننا نلاحظ وجود مستويات عقلية تعكس المستوى الفكري للإنسان. كما يتبين أن العقل يخضع لقانون الدورة ، فعند مرحلة الميلااد الحضاري يكون حضوره بعد الروح التي تحتل المركز الأول، وعندما تبدأ المرحلة الثانية (القوة) يكون العقل هو مركز الحضارة. بيد أنه في المرحلة الثالثة (الشيخوخة) يصبح مهبها وتطغى عليه سمات مرضية نخص منها على الخصوص الذرية. فالذرية نزوع العقل إلى التجزئة الفكرية فتصبح المشكلات العامة مجرد أجزاء مفككة كل جزء قائم بذاته في تصورات العقل وبالتالي تغدو مجرد أكوام تفقد صورة التكامل وتبتعد عن منهج التركيب إن الذرية علامة معجز العقل أو أزمته ، والعجز أدق من الأزمة لأن الأزمة قد تكون حاضرة حتى في مرحلة قوة العقل وشموليته لكن العجز مرتبط بالانحطاط. (19)

ويذكر مالك بن نبي أن المستشرق الإنجليزي هاملتون جب اتهم العقل الإسلامي بالذرية في كتابه "الاتجاهات الحديثة في الفكر الإسلامي" LES TENDANCES MODERNES DE L'ISLAM ، حيث لا يوافق في "ذرية" العقل الإسلامي لأن الذرية حالة من حالات كل عقلي تتجلى في مرحلة البداوة والبداية التي تصيب الكائن الحضاري وفق مبدأ الحتمية التاريخية. كما أن العقل الأوروبي شهد ذرية قاتلة قبل عصر ديكارت Descartes أي عندما كان الغرب يعيش عصور الظلام. وبالتالي فالذرية ليست سمة فطرية في العقل الإسلامي وإنما يكتسبها الإنسان غالباً في خطواته الأولى كما كانت الحال في أوروبا قبل ديكارت وكما صارت إليه الحال بعد عصر ابن خلدون في العالم الإسلامي عندما توقف كل جمه عقلي.

تعمل الذرية على تضييع الوقت الذي هو ثالث قطب للحضارة ، فبدلاً أن يدرك العقل المضللات الحضارية ومسوغات حلها، فإنه ينتج نحو الاهتمام بأجزائها المتناهية في الصغر حتى وإن استطاع فهم بعضها من أزمته وقضاياها فحتماً أن إدراك الجزء لا يعني عن الكل شيئاً. فلم تستطع النهضة تعديل العقل أو إصلاحه بل على العكس تماماً وقع العقل الإصلاح في الذرية كما نلاحظ ذلك عند محمد عبده ومحاولة الاستنجد بعلم الكلام لفهم قضايا عصرنا. (20)

إن الذرية رغم كونها مجرد، عرض فإن الفكر الإسلامي لم يستطع التحرر منها قياساً بالعقل الياباني الذي عدلها في غضون نصف قرن من عمره الحضاري. يقول مالك بن نبي: " فلن يكون هذا العجز سوى عارض خاص بعقل ما بعد الموحدين وعدم الاستطاعة تكمن في عدم تفعيل الحركة الحديثة أو

إشكالية التخلف الثقافي والاجتماعي عند مالك بن نبي. "نموذج إنسان" د. سليمان ملوكي جامعة مسيلة

حركة الإصلاح للاستعداد العقلي في هذه الناحية تعديلاً جوهرياً إن الذرية تعكس مأساة إنسان استيقظ دون "هزة قلب" ودون توتر فكري أو حضاري يدفعه إلى التقدم وتحقيق النموذج. " (21)

2- داء الوثنية: يعد التقديس أحد ملامح السلوك البشري منذ القديم وكان أول ما قدسه الإنسان البدائي الطبيعة التي كانت مصدر دهشته وحيوته، ثم مالبت أن تحول القديس إلى تأليه فصارت من جملة الأوثان التي تعبد وكانت مهمة الأنبياء القضاء على "الوثن المجسد" كما فعل إبراهيم ومحمد (صلى الله عليه وسلم). فكان تحطيم الأوثان المجسدة يحتاج إلى دعوة ورجال يحملونها.

وعندما ندرس فكر فرنسيس بيكون نلاحظ وجود نظرية الأوهام أو الأصنام المتعلقة بالعقل (the idol of the mind) والتي حددها فيما يلي:

1- صنم القبيلة: (the idol of tribe) ويتركب من العادات والتقاليد والأساطير والقيم العرفية.

2- صنم الكهف (the idol of the cave) و يتمثل في تصورات الذات المنطوية في عالمها السحري المغلق.

3- صنم الكنيسة (the idol of the church) و يتمثل في المعتقدات الدينية المتغذية بروح الدوغمائية المطلقة. (22)

إن الذي يحصل بالفعل هو أن المجتمع الإسلامي يخضع لعملية تجريبية مؤلمة منذ نصف القرن. وإذا أردنا الدقة قلنا منذ منتصف القرن التاسع عشر. فهذا المجتمع قد انضوى منذ أن استيقظ على ضربات الزعة الاستعمارية وعلى نداء رجال من أمثال جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده في حركة (النهضة)، وهي المرحلة التي تبدأ منذ اليقظة الأولى لهذا المجتمع حوالي سنة 1858 وتستمر حتى وضعنا الراهن. ولكننا إذا ما حللنا هذه المرحلة لإبراز خصائص الفكر الإسلامي طوال هذا القرن من تطوره نجد أنها تنقسم إلى ثلاثة عصور متميزة: أ- عصر النوم الذي استمر قروناً عديدة. ب- عصر الانتباه أو استرداد الوعي. ت- عصر الفوضى والذبذبة الراهنة. وهذه العصور الثلاثة تتطابق بدقة مع الأطوار الثلاثة لتجربة الطفل:

أ- الطور الأمومي: حيث لا يكون لدى الرضيع إلا التشبث بندي أمه أي مفهوم لعالم الأشياء.

ب- الطور (ماقبل الاجتماعي) حيث يبدأ الطفل في الدخول إلى عالم الأشياء وإن كان لا يزال يجهل كل شيء عن عالم الأفكار.

ج- الطور الاجتماعي (المدرسي وما بعد المدرسي): حيث يحاول فيه الطفل أن يقيم الصلة بين عالم الأشياء وعالم الأفكار.

و لوحاول موجهو العالم الإسلامي تأمل هذا التخطيط البسيط لتفهموا بكل تأكيد وبطريقة أفضل الآلية النفسية المهيمنة على تجربة الجيل الإسلامي الراهن والصعوبات التي يتعين على هذا الجيل التفوق عليها وكذلك المشاكل الناتجة عن هذه الصعوبات في المجال السياسي والاجتماعي.

ومما يكن من شيء فنحن إذا طبقنا على دراستنا التخطيط المتعلق بنفسية الطفل علمنا أن الطفل يجتاز مرحلة من التقليد يسلك أثناءها سلوك كبار الأشخاص أمثال أمه وأبيه والكبار من إخوته من غير أن يفهم أنه يقلدهم وكفى، فهو يقلدهم أولا في اللغة وبتقليده للأصوات التي لا يفهمها يتعلم الحديث .

وهناك ملاحظة أخرى يجب مراعاتها أيضا في نفسية الطفل قبل تطبيقها على المجتمع الإسلامي، وهي أن الأهل يعرفون جيدا وبدقة كافية من جراء ظاهرة التقليد نفسها خطر القدوة أو المثل السيئ بالنسبة إلى طفلهم، ولذلك نراهم يعدون لهذا الأخير رقابة معينة في المنزل والمدرسة والشارع لأنهم لا يرون من الضروري ولا من المفيد أن يقوم الطفل بكل تجربة يقع عليها بصره. فهناك حتى التجارب المؤذية التي يمكنها أن تعطل لديه كل تقدم أخلاقي وعقلي. ولهذا السبب عينه ولا شك أخذ التحليل النفسي منذ فرويد (Freud) يبحث في حالة شذوذ البالغ عن الأسباب المرضية في التجارب البعيدة لهذا البالغ نفسه عندما كان طفلا. (23)

لقد وقفنا على الأهداف التي حققها العصر الذي سميناه بالعصر الحديث. ولكن ما هي الأهداف التي سوف يحققها عالم الصاروخ الموجه؟ وعالم القنبلة الهيدروجينية؟ إننا لا نعلم منها شيئا ولكن الذي ينبغي علينا أن نعلمه ونفكر فيه منذ اليوم، وهو لون الواجبات التي يلقيها كاهلنا بناء النهضة. نهضة ذلك المجتمع الذي أصبحنا نشعر بوجود بنائه وتحريك طاقاته التي عطلها التاريخ منذ قرون، قرون التدهور والانحطاط التي كان حظ العالم الإسلامي منها كبيرا بعد ازدهار حضارته. (24)

### 3/ في التخلف الاجتماعي.

علينا إذن أن نتعلم معنى الحياة الاجتماعية حتى من الحشرات، لأن حياتها دروسا قيمة لنا، ففي مستوى حشرة بسيطة كالنحلة نرى أن الحياة الاجتماعية ضرورية بالنسبة لكيان الفرد، فهو يلقي نفسه إلى التهلكة إذا انفصل عنها. والإنسان شأنه في هذا شأن النحلة إنه لا يستطيع أن ينعزل عن المجتمع ويحاول العيش بجهد الخاص فمصيره من غير شك هو الموت. على أننا إذا سلمنا بهذه البديهية فإن

علينا أن نتساءل هل الفرد يعيش ويحقق قسطه من الحياة ومصالحته فيها بمجرد اتصاله بشيء نسميه المجتمع أي بعدد من الأفراد؟

وهنا يتبدئ عندنا لبس أدى للأسف في التاريخ القريب أي في الأربعين سنة أو الخمسين سنة التي مضت إلى غلطات إرتكبتها لأننا لم ندقق في مصطلحات الاجتماع. ففهمنا للمجتمع إنما هو عبارة عن عدد من الأفراد يعيشون كما يشاءون مهما كانت الصلات بينهم. وليس هذا هو المجتمع إنما يمكن أن نسميه بقايا مجتمعات أو بداية مجتمعات .

إن المجتمع الذي يقوم بوظيفته التاريخية نحو الفرد ويحقق راحته لا بد أن نفهم معناه فيها دقيقاً. (25) فهو ليس عددا من الأفراد وإنما هو شيء خاص هو بنيان وليس تكديسا من الأفراد بنيان فيه أشياء مقدسة متفق عليها. فقبل أن تتجمع الأفراد تكون هناك فكرة عامة هي التي تؤلف بينهم فراد، فإذا فقدت هذه الفكرة فقدت الصلات بين الأفراد وتفكك المجتمع وضاعت المصلحة التي كانت تتمثل فيه، فكما أن النحلة لو انفصلت عن خليتها ماتت، فإن المصلحة التي تجمع وتنسق سلوك كل نحلة من الخلية لو انعدمت لسبب لا نعلمه فإن الخلية ستتمزق أي يضع المجتمع ويضيع أفرادها أيضا. (26)

وإذا ما أقررنا أن وظيفة المجتمع حفظ كيان الفرد وتحقيق أهداف الجماعة، فإن هذه الأهداف في مستوى الحشرات تتمثل في حفظ النوع. ولكنها في مستوى الإنسان تفوق ذلك، فالقضية عند المجتمع الإنساني ليست قضية حفظ النوع لأن التناسل قد وفرته الحياة الطبيعية، فالإنسان يعيش لأهداف أخرى. والمجتمع الإنساني يقرر فكرته في مستوى آخر ليس مستوى البقاء ولكن مستوى تطور النوع ورقبه هذه هي حقيقة المجتمع التي يبنى عليها كيانه. فما هي الأهداف التي من أجلها يتكون المجتمع بالمعنى والاصطلاح الذي نعنيه؟ إننا عبرنا عنها بالنسبة للفرد المسلم بما وجدنا في القرآن الكريم حينما يقول: "وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا". (27)

إنه بافتقارنا التنظيم الداخلي الذي يضع كل فرد حيث ينبغي أن يوضع، نجد العالم الإسلامي لا يمنح الفرد كل الضمانات الاجتماعية لتحسين عمله اليدوي أو الفكري ولا يتيح له أن يجني ثمار هذا العمل. وإذا كانت البلاد العربية قد شرعت بالاهتمام بهذه المشاكل، فذلك راجع لضرورتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. كما تزداد الخاصية الاجتماعية لهذا الاستمرار نموا مع حركة التصنيع. ومهما يكن فإن المشكلة تتناول هنا من وجهة النظر الإسلامية بصفة عامة ولم تعد لتتناول من الزاوية السياسية فقط. وإذن فالمسلم يولد في مجتمع لا يقدم له الضمانات الضرورية لاكماله الاجتماعي، علاوة على ذلك فهو يأخذ بعين الاعتبار وبطريقة غامضة في قليل أو كثير .

إن الفوضى في الأفكار كان من نتائجها الحتمية الاضطراب في السلوك والتبعية مشتركة بين الحالة الاجتماعية والحالة الأخلاقية في وسط معين. إن الفوضى الاجتماعية في أشكالها المختلفة تنتج الاضطراب الأخلاقي وهذا الاضطراب لا يترجم بطبيعة الحال بنفس الطريقة في طبقات المجتمع المختلفة ولا في عصور تطوره المختلفة. (28)

و بنظرنا إلى بعض الاعتبارات المعينة يمكننا أن نقول أن ذلك الاضطراب قد زاد احتداما في الحد الفاصل الذي يمكن أن نتصوره بين المستوى الصناعي أو (الفني) للعالم وبين مستواه الراهن. وحينئذ فاضطراب الوعي لدى الإنسان الشعبي ليس إلا نتيجة مباشرة في قليل أو كثير لذلك الفاصل الذي نستبين منه أن التطور الصناعي الراهن للعالم قد زاد ولم ينقص من تخلف المجتمع الإسلامي بالنسبة إلى الإيقاع العام، لأن الذي ييمنا مقارنته هنا ليس الوضعية الراهنة للعالم الإسلامي بالنسبة إلى وضعيته التي كان عليها حوالي سنة 1912م، ولكن بالنسبة إلى الوضعية العامة اليوم. ومن هنا نلاحظ أن مفعول هذا التخلف قد تفشى فعليا في الوعي الإسلامي منذ ربع قرن فهناك احتدام مأساوي لهذا التخلف الذي ندرك نتيجته في أشكال مختلفة للحياة الإسلامية الحالية وبطبيعة الحال فهذه الأشكال غالبا ما تكون متناقضة ومتقابلة. (29)

إننا بتحليلنا للوضعية السائدة في العالم الإسلامي، قد أكدنا كيف اتسمت هذه الوضعية في أساسها بالتخلف الاجتماعي للإنسان المسلم بالنسبة إلى تطور العالم عموما. وجدير بنا الآن أن نركز الانتباه حول العوامل أو بعضها- على الأقل- التي تؤثر على تلك الوضعية بوصفها عوامل مسرعة أو معجلة للتطور العالمي، وبالتالي المضاعفة من تخلف المجتمع الإسلامي ورامية كذلك إلى تعضيد العناصر ذات الصبغة النفسية والاجتماعية التي تكون معطيات المشكلة ومظاهر الأزمة التي سبق أن حللناها وكما سلف أن وضحنا ذلك فهذه الأزمة ليست في طبيعة مشاكل المجتمع الإسلامي بقدر ما هي في موقف الإنسان المسلم بالنسبة إلى هذه المشاكل، ولكن إذا كانت طبيعة المشاكل في التقدير الأولي للحلول التي توضع عليها، تقع في الدرجة الثانية، فإن مستوى هذه المشاكل يأتي على العكس من ذلك في الدرجة الأولى، ولذلك يتعين اعتبار المساحة الجغرافية للمشاكل التي نريد دراستها واسعة فهناك مشاكل ذات صبغة قومية ينبغي أن تجد حلولها في البلاد نفسها التي تثار فيها.

إننا ندرك أن الوعي الإسلامي قد أصبح في وضع مأساوي بين الرغبة في استندراك تأخر يعرف شدة وقعه في المجال السياسي ونعني به التأخر الذي حاق به على الصعيد الاجتماعي وبين الرغبة في إنقاذ تراث أخلاقي يعرف مدى قيمته. وإذا كان يمكن لهذا التفوق المزدوج أن يجد في شكل من أشكال التطور الموجه تعبيره في صورة تركيب يتم فيه التوفيق بين الحدود المتضاربة أو المتنافرة، فإنه على

العكس من ذلك تماما قد أنتج تناقضا صريحا في التطور الحقيقي المتبع من طرف البلاد الإسلامية منذ نصف قرن. لقد تمزق وعي الإنسان المسلم في يومنا هذا من جراء التناقض، لأن هذا الإنسان لم يعرف كيف يندمج في عالم زمني هو مرغم على الحياة فيه وإن كان لم يتمثل بعد معاييرها. وهذا حدث من أحداث تطور إغوازي (entropique) زاد في الأشياء أكثر مما زاد في حجم الأفكار.

لقد ترتب على ذلك في الفكر الإسلامي تقاطب (polarisation) مزدوج شطر حياته النفسية إلى عالمين منفصلين: فالمسلم يعيش في عالم غريب له منه (أشياؤه) وليس (أفكاره) وتلك خاصية النفسية الصبغانية عندما يبدأ الطفل بوضع يده على الأشياء من غير استعداد لفهمها، فإذا بنا نراه أحيانا يمد يده إلى القمر جادا في طلبه ولكن من غير طائل بطبيعة الحال، فهذه الحركة تبدو لنا جذابة لدى الطفل الذي تضحكنا منه هذه البادرة الدالة على براءته.<sup>(30)</sup>



### أهم الاستنتاجات:

- لقد أخفق نموذج التنمية المعتمد بشكل واضح في بلدان العالم الثالث حين ظن هذا الأخير أنه يكفي الحصول على رؤوس الأموال الكافية والأطر الفنية الملائمة والإدارة التقنية كي تنطلق على درب التنمية.
- يمكن القول أن التخلف ظاهرة لا تتجزأ، فهو تخلف في كل الميادين: العقائدي، الاجتماعي الثقافي والاقتصادي ولقاومته يجب رسم إستراتيجية محكمة متكاملة.
- إن ما أصاب العالم الإسلامي من انحطاط لا يمكن تفسيره بالأسباب الأخلاقية البحتة بل هناك عوامل أخرى ذات طابع مادي وفكري.
- إننا بتحليلنا للوضعية السائدة في العالم الإسلامي، قد أكدنا كيف اتسمت هذه الوضعية في أساسها بالتخلف الاجتماعي للإنسان المسلم بالنسبة إلى تطور العالم عموماً.
- إن تمزق وعي الإنسان المسلم في يومنا هذا من جراء التناقض، لأنه لا يعرف كيف يندمج في عالم زمني هو مرغم على الحياة فيه وإن كان لم يمثّل بعد معايير.
- تعمل الذرية على تضيق الوقت الذي هو ثالث قطب للحضارة، فبدلاً أن يدرك العقل العضلات الحضارية ومسوغات حلها هو يغيب عن إدراك الواقع.
- إن الإنسان المسلم لم يعرف بعد عالم الضرورات، لأنه لم يصنعه بنفسه، إنه عالم مستورد دخل في حياته بفعل تقلبات تاريخه الخاص. إنه لا يزال نائماً عندما وجد نفسه منضوياً فيه حوالي منتصف القرن التاسع عشر عندما فرضته الزعة الاستعمارية عليه وعلى نشاطاته وعلى أذواقه أيضاً بالتدرج.
- التخلف عند مالك بن نبي هو باختصار مجموع "مشكلات الحضارة" في مجتمعات العصر الحديث. حيث تجمع العوامل المادية والنفسية المتولدة في نطاق البلدان النامية نتيجة لالتقاء بين عاملي القابلية للاستعمار والاستعمار.
- إننا ندرك أن الوعي الإسلامي قد أصبح في وضع مأساوي بين الرغبة في استدرارك تأخر يعرف شدة وقعه في المجال السياسي ونعني به التأخر الذي حاق به على الصعيد الاجتماعي وبين الرغبة في إنقاذ تراث أخلاقي يعرف مدى قيمته.
- من أهم الانتقادات التي طالت مالك هو مفهوم "القابلية للاستعمار" قد تكون ناتجة عن الواقعة الاستعمارية أي خضوع شعب ما للاستعمار، كما قد تكون ناتجة عن صفات عقلية ونفسية ترسخت

إشكالية التخلف الثقافي والاجتماعي عند مالك بن نبي. "نموذج إنسان" د. سليمان ملوكي جامعة مسيلة

في أمة معينة نتيجة ظروف وصيرورة تاريخية معينة، تجعلها تفشل في القيام بفعل المقاومة، وبالتالي الشعور بالدونية اتجاه الآخر المتفوق حضاريا، ويعتقد بن نبي أن كثير من افراد المجتمع الإسلامي يعانون من القابلية للاستعمار حتى ولو كانت بلدانهم غير خاضعة للاستعمار. وهو موقف مؤلف من قبل بعض قادة الثورة الجزائرية .

- كما يعاب عنه اسلوبه العلمي الرياضي الجاف احيانا في معالجته لقضايا الحضارة او مشكلات الثقافة .

**قائمة المصادر والمراجع:**

(1)- مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي، مدخل سيكولوجية الإنسان المقهور، الطبعة الثالثة، الدار البيضاء، 2001، ص 19.

(2) Malek Bennabi, Problèmes des idées dans le monde musulman, éditions El -Bay'yinate, 1990, p26

Joseph Toynbee, *The Prospects of Western Civilization*, Columbia University- (3) Press, 1973, p213.

(4)- سورة الرعد، الآية رقم 11 .

(5) I bid., p26

(6) Malek Bennabi, *l'afro asiatisme*, société d'éditions et de communications Tipaza, Algérie, p,62

(7) - (Sebastian J Walsh, *Killing Post Al-mohadian man*, the journal of north African studies, 2007, p 20

(8)- سليمان الخطيب، أسس مفهوم الحضارة في الإسلام، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان 1993، ص 60.

(9)- حديث نبوي شريف رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال.

(10)- راجح لوئيسي، البديل الحضاري، دار هومة، 2002 ص 54.

Ali Cheikh Amar, Malek Bennabi, *le philosophe Algerien*. éditions Seuil. Paris 1980, p57 (11)- مجلة المسار المغربي، (12)- العدد السابع، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، ص 66.

(13) - المرجع نفسه، ص 67.

(14) *Hamilton gibb, Arabic Introduction of l' iterature*, Clarendon Press), Oxford University Press and (1974. p55.

(15)- مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، بيروت، 1981، ص 64.

(16)- مالك بن نبي، مشكلة الأفكار، دار الفكر المعاصر، بيروت، 2002، ص 80.

Rachid Benzine, *les nouveaux penseurs de l'Islam*, Albin Michel. France. 2004, p 42-(17)

(18)- د/ عبد القادر بوعرفة، الحضارة و مكر التاريخ، تأملات في فكر مالك بن نبي، دار النشر للعلوم، الطبعة الأولى، الجزائر ص 120

(19)- Malek Bennabi, Vocation de L'islam, op. cit. ,p76.

(20)- د/ عبد القادر بوعرفة، الحضارة و مكر التاريخ، مرجع سابق، ص 122.

(21)- المرجع نفسه، ص 123.

(22)- مجلة المسار المغربي، عدد خاص بمالك بن نبي مرجع سابق، ص 66.

(23)- Benamra Abderrahmane, Malek Bennabi, Mondialisme, Dar -el hadara, 2004, p22.

(24)- Khoulif Zidane, La vie et l'œuvre de Malek Bennabi, thèse de doctorat, paris, 2006, p64.

(25)- مالك بن نبي، تأملات، ترجمة عمر مستاوي، دار الفكر للطباعة و النشر، دمشق، 1986، ص 157.

(26)- مالك بن نبي، كومنولث إسلامي، ترجمة الطيب الشريف، دار الفكر المعاصر، بيروت، 2002، ص 32.

(27)- سورة القصص، الآية رقم 68.

(28) - مالك بن نبي، من أجل التغيير، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، دار الفكر دمشق سورية، 1995، ص 37.

(29)- مالك بن نبي، كومنولث إسلامي، مصدر سابق ص 37.

(30)- مالك بن نبي، تأملات، مصدر سابق، ص 159.